

في الأدب الإنجليزي :

شكسبير والمعاصرون^(٥)

للأستاذ جريس القسوس

كان ظهور شكسبير في عالم الشعر واثلاق نجمه في الأوساط الأدبية وهو الرجل غير المثقف من معجزات ذلك العصر بل كل المصور بالحقيقة ، فقد كان يتنازع الشهرة الأدبية وزعامة الشعر فريقان ، الأول مكون من رجل واحد هو كريستوفر مارلو^(١) (Marlowe) الشاعر الثابتة الفحل ، والثاني يتزعمه توماس ناش^(٢) (Nash) وأقلب أعضائه من الشخصيات العلمية الجامعية ، فناش وصحبه تخرجوا في جامعة كبريدج وغيرها من كبريات الجامعات في إنجلترا .

وبالرغم من اشتداد التنافس والتناحر بين هذين الفريقين فقد كان من المسلم به أن مارلو هو الزعيم الأدبي والشاعر المبكر غير مدافع .

لكن الخطر كل الخطر دام هذه الشخصيات العلمية الجامعية بظهور ممثل من عامة الناس لم يكن له شأن من قبل أو خطر ، أخذ في تأليف المسرحيات على شتى أنواعها ، والتجديد فيها وإعدادها لفرقة تشمبرلن التمثيلية بمظهر ملائم ذوق الناس الأدبي .

وقد سبق أن نشر شكسبير من قبل قصيدتين مديلتين باسمه الصريح ، فلفت إليه الأنظار ، وجعل الأدياء يرمقونه بروح اللهثة والقلق والإشفاق . كان ذلك في ٣ سبتمبر ١٥٩٢ حين واثق الأجل الأديب المعروف روبرت جرين^(٤) (Robert Greene) تاركاً مقالا مخطوطاً ، فتولى هنري تشتل (Henry Chettle) نشره في الثامن من ديسمبر من تلك السنة ، وفيه تعريف بهذا الشاعر

الطاريء الحديث الشأن كما سترى . بيد أن تشتل عاد فنشر اعتذاراً من شكسبير وثناء عليه لدمائة خلقه وأمانته واستقامته ، وكذلك لسوفنه الأدبي . وفي ختام مقاله يخاطب جرين ثلاثة من المؤلفين المسرحيين هم مارلو وتوماس لودج^(١) وجورج بيل^(٢) ناصحاً إياهم أن ينصرفوا إلى غير مسائل التأليف . وفيه ترد العبارة الشهيرة التي تشير إلى ظهور شكسبير « ذلك الغراب المحدث ، اللترين برشنا ، الذي بمجرد قوله : (قلب النمر المكتسى بجلد الممثل) يعتقد أنه يجيد نظم الشعر المرسل (Blank Verse) كأحسن الشعراء . هذا الشخص الذي (يحدق حرفاً عديدة)^(٣) ، وهو عند ظنه (الشيكسين) (Shakescene) الأوحده في بلده . » ومن الجلي الواضح أن جرين بذكره (لقلب النمر المكتسى بجلد الممثل) إنما يشير إلى وصف شكسبير (لقلب النمر الملتف بجلد المرأة) الوارد في الجزء الثالث من مسرحية هنري السادس^(٤) التي كانت تعرف قبلاً (بمأساة ريتشارد أوف يورك) ثم في لفظة (شيك سين) (Shakescene) إشارة واضحة إلى اسم شكسبير ، ذلك لما بين الكلمتين من تشابه لفظي ظاهر . أو قد يكون المقصود بذلك ، ومعنى (شيك سين) : (بحرك المنظر ، أو بغير المشهد) ، غمز الشاعر من طرف خفي ونقده بأسلوب رقيق هادي ، لرجوعه إلى النسخة الأولى من (هنري السادس) وهي من تأليف جرين وصحبه ، وإخراجه نسخة جديدة من تلك الأصلية القديمة . ومن قول جرين هذا نخرج بثلاث حقائق راهنة : —

الأولى : إن شكسبير كان ممثلاً وكاتباً مسرحياً بميدالبيت ، فلا يجب أن ملائ نفوس الأدياء المعاصرين بالحدس والحقد والفضينة والقت الشديد .

الثانية : ظهور مسرحية (هنري السادس) بأجزائها الثلاثة والتي ربما مسها شكسبير بقلبه كما يتبين من نشرها في المجموعة الأولى لمسرحياته (١٦٢٣) .

والثالثة ، إن شكسبير كان في بعض الأحيان بل أغلبها

(١) ١٥٥٨ — ١٦٢٥ ؟

(٢) ١٥٥٨ — ١٥٩٧ ؟

(٣) Johannes Factotum

(٤) الفصل الأول النسخ الرابع سطر (١٢٧)

(٥) من كتاب عهد شكسبير لم يظهر بعد .

(١) يحمل شهادة (. ع . م) من جامعة كبريدج (١٥٦٤ —

١٥٩٣) .

(٢) (١٥٦٧ — ١٦٠١)

(٣) (١٥٦٠ — ١٥٩٢) .

(Thomas Meres) يضع شكسبير في مصاف المسرحيين الماليين الذين نبغوا في بابي الملهاة والمأساة . فقد وضع ميرز كتاباً اسمه (بلادس تاميا)^(١) (استعرض فيه المجهود الأدبي منذ تشوسر^(٢)) حتى عصر الزباث ، وتناول بالدرس والبحث نحو مئة وخمسة وعشرين أديباً من أدباء الإنجليز ، مقارنة بين كل واحد منهم وبين من يرى أنه يشبهه من أدباء العصر الاتباعي القديم ، أو أدباء الطليان في عصر الرينسانس . وفي هذا الكتاب يشير إلى شكسبير مطرباً شاعريته الفذة ، كما تجلت له في قصيدتي (فينس وأدونيس) (ولو كريس) ويرى أنه ليس دون أوويد^(٣) الشاعر الروماني العظيم مؤلف (القامور فيسس)^(٤) أو بلونس^(٥) شاعر الملهاة عند الرومان ، وسنيكا^(٦) الفيلسوف الروماني التي برع في تأليف المأساة . فيقول ميرز إن شكسبير لا يقل عن هؤلاء جميعهم في مسرحياته (كوميديا الأخطاء ، وجهد الحب الضائع وسيدا فيرونا ، وحلم ليلة في منتصف الصيف ، وتاجر البندقية ، ورتشارد الثاني والثالث ، وهنري الرابع ، والملك جون ، وروميرو وجوليت ، وتيبلس أندرونيكس) .

ولهذا القول ولتعداد هذه المسرحيات قيمة مزدوجة ، الأولى وهي مجرد ذكرها وعزوها لشكسبير دون غيره ، وفي هذا رد على الذين يمزون نظمها إلى غيره ، وفيه دلالة على أنها قيل أن يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، والثانية تألق تيم شكسبير في سماء الأدب وازدهار شهرته الأدبية في برهة وجيزة ازدهاراً لفت إليه الأبيصار .

ولم يقف الأمر عند إشتاق الأدباء ، وقلقهم وجزعهم ، أو ثناء البعض الآخر عليه وإعجابهم به ؛ فقد وردت إشارات عدة في الأدب المعاصر تشيد بذكر هذا الأديب (ذي اللسان

يسطو على بعض القصص في مسرحيات غيره من الأدباء . ومنها في وضوح النهارنها . ويتضح هذا من قول جرين (النمر المكتسى بجلد المثل) ، ومن (الريش الذي استعاره منا الغراب الأسحم ليتزين به) .

أما المسرحيات التي أثارته دهشة جرين وحسده وجزعه معاً فلا يبعد أن تكون (هنري السادس) التي راجعها الشاعر على كل حال وترك فيها أثراً ظاهراً . فقد لفتت إليها نظر جرين وأقرانه لما فيها من ازدحام الحوادث المتنوعة بشكل لم يعمد من قبل ؛ وكذلك (تيبلس أندرونيكس) التي يعتقدون أن شكسبير لم يتفرد بتأليفها بل اشترك في مراجعتها وتصحيحها ؛ وهي مأساة رائمة إذا قيست بمآسي مارلو وتوماس كيد^(١) Thomas Kyd التي كانت تعد من أعظم وأنفس ما شاهده ذلك العصر . وتأثير ليلي^(٢) (Lyly) طرق شكسبير باباً جديداً في فن الدراما هو الملهاة (Comedy) المغم بالمحسنات اللفظية والسكناية والاستمارة ، فقد كان يجذب هذا اللون من أساليب الكتابة الناشئون في الأدب ، وهو أبرز ما يمثله في جهد (الحب الضائع) (Love's Labour's Lost) هذه هي المسرحيات التي ألّفها شكسبير قبل وفاة جرين ، فاسترعت انتباهه ، وحولت إليه أنظار الأدباء والناس جميعاً . وبعد وفاة جرين بسنة يأفل نجم مارلو في سماء الأدب ، ثم يقضى كيد (Kyd) نحبه سنة ١٥٥٩ ، ويمرض لودج (Lodge) عن الأدب وينصرف إلى ممارسة الطب ، ويخرج ليلي من القصر ، وينغمس بيل (Peele) في اللذات وينقطع عن الإنتاج الأدبي ، ويتحول ناش إلى أدب الهجاء والقصة وهذا لا خطر منه . حتى إذا ما جاء عام ١٥٩٨ لم يشهد في حلبة الأدب المسرحي على الأخص من ينافس شكسبير أو يجاربه .

ومن المحال أن تذكر لأديب ما في ذلك العصر مأساة أو ملهاة كان لها ما لأدب شكسبير الدرامي من قيمة أو وزن . فلا عجب أن ترى أستاذاً جامعياً كبيراً كتوماس ميرز^(٣)

(١) Palladis Tamia

(٢) (١٣٤٠ — ١٤٠٠) .

(٣) ovib (٤٣ ق م — ١٨ م)

(٤) Metamorphoses مكتوبة من كلين من أصل يوناني مناسها

(تبدل الأشياء) .

(٥) Plautus (٢٥٤ — ١٨٤ ق م) .

(٦) Seneca (٩ — ٦٥ ق م) .

(١) (١٥٥٧ — ١٥٥٩) .

(٢) (١٦٠٦ — ١٥٥٤) .

(٣) (١٦٤٧ — ١٥٦٥) .